الوسطية والاعتدال

لفضيلة الشيخ

فؤاد بن سعود العمري

miraath.net

ميراث الأنبياء

قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء

Miraath.Net

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسر موقع ميراث الأنبياء وضمن سلسلة محاضراتٍ في الأمن الفكري أن يقدم

لكم تسجيلًا لمحاضرةٍ بعنوان:

الوسطية والاعتدال

ألقاها

فضيلة الشيخ: فؤاد بن سعود العمري

-حفظه الله تعالى-

يوم الجمعة السادس من شهر شعبان

عام سبعة وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية في جامع الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود -

رحمه الله تعالى-.

نسأل الله -سبحانه و تعالى- أن ينفع بها الجميع.

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ آل عمران: ٢٠١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ النساء: ١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم -، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بادئ ذي بدء أشكر ربي -جل وعلا- على تيسيره لهذا اللقاء، وأسأله -سبحانه وتعالى- بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعل هذا اللقاء لقاءً مباركًا، ثم أُثنِّي بالشكر لكم جميعًا على حرصكم على مثل هذه اللقاءات التي يزداد فيها المرء علمًا نافعًا، ويتزود فيها من التقوى فإنه خير زاد.

أيها الأحبة: موضوع هذه المحاضرة، موضوع مهم جد مهم، والموفق الذي يوفقه رب العزة والجلال لأنْ يسلك هذا الطريق، وأن يسير على هذا النهج؛ نهج الوسطية والاعتدال كما

جاء عن نبينا -عليه الصلاة والسلام-، فإن هذا الأمر قد اضطرب فيه الناس اضطرًابا كبيرًا، واختلطت فيه الأوراق، وكلٌ يدعي وصلًا بليلى!

تسمع هنا وهناك من ذاك، ومن أولئك المناداة بالوسطية والاعتدال، وإذا ما نظرت في تلكم الدعوة، واستمعت إلى تلكم المناداة تجد عجبًا عجابًا، وفي ظنه أنه وسطيٌّ ومعتدلٌ، وما هذا التخبط، وما هذا الاضطراب إلا بسبب البعد عن كتاب الله -جل وعلا- وعن سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وعن نهج سلف هذه الأمة الصالح -رضوان الله عليهم-، فبعضهم يظن أن الأخذ بالأسهل في كل شيء أنه وسطية، وأن عدم إلزام هذه النفس بما جاء في الكتاب والسنة أنه من الوسطية، وآخرون يظنون أن الوسطية هي ما هم فيه، وما هم عليه، وإذا ما نظرت تجدهم أبعد الناس عن هذا الأمر العظيم الذي كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فدين الله -جل وعلا- وسط بين الغالي فيه، والجافي عنه، ولهذا أحبتي الحق واحد لا يتعدد، وأهل هذا الحق هم الطائفة المنصورة، الفرقة الناجية التي أخبر عنها النبي -صلى الله عليه وسلم- وكان لزامًا على أهل الحق أن ينصحوا لأهل الإسلام، وأن يبينوا لهم الوسطية والاعتدال التي جاء بها النبي -صلى الله عليه وسلم- يبينوها بدلائلها من كتاب الله -جل وعلا-، ومن سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وما كان عليه سلف هذه الأمة الصالح في أبواب العلم والعمل، وفي أبواب الدين والدنيا، فإن التوسط والاعتدال سمة هذه الأمة، ومن أعظم خصائصها.

قال ابن القيم -رحمه الله تبارك وتعالى-: "الوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط هو العدل وهو الذي عليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل حتى مصلحة البدن لا تقوم إلا به؛ لأنه

متى خرج بعض أخلاطه عن العدل وجاوزه أو نقص عنه ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك، ومثل ذلك الأفعال الطبيعية كالنوم، والسهر، والأكل، والشرب، والحركة، والرياضة، والخلوة، والمخالطة، وغير ذلك، إذا كانت وسطًا بين الطرفين المذمومين كانت عدلًا، وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصًا، وأثمرت نقصًا، ولهذا أشرنا أن الوسطية تشمل أبواب الدين، وأبواب الدنيا، فلا تتم مصالح الناس، بل لا تتم مصالح الدنيا والآخرة على الوجه الصحيح إلا إذا ما سلك العبد طريق الوسطية والاعتدال"، وهذا يستدعي أن نذكر شيئًا مما جاء في كتاب الله -جل وعلا- وفي سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وما جاء عن سلف هذه الأمة الصالح في هذا الباب العظيم، ومن ذلك قول ربنا -سبحانه وتعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣].

جاء في البخاري من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنه قال: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَب، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَال لأمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَهُ قَدْ بَلَّغَ، وَيَكُونَ الرَسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، فَذَلِكَ قوله -جَلَ ذِكْرُهُ-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣].» والوسط: العدل.

وقد نبه الحافظ ابن حجر لَمَّا تكلم على هذا الحديث أن قوله الوسط العدل هو من كلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا من كلام الرواة، وقد جاءت روايات أخرى عند الترمذي في جامعه، وأحمد في مسنده، وابن حبان في كتابه:"التقاسيم" المشهور بـ"الصحيح" تفسير النبي -صلى الله عليه وسلم- للوسط بالعدول، وفي رواية عدلًا، وقد أورد الطبري -رحمه الله تبارك

وتعالى- في تفسيره جملة من الطرق والروايات في هذا المعنى، وكذلك أورد جملة من الروايات عن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعن التابعين كلها تفسر الوسط بالعدل، قال -رحمه الله- بعد أن ساق ما أشرنا إليه: "وأما الوسط فإنه في كلام العرب: الخيار، يقال منه: فلان وسط الحسب في قومه أي: متوسط الحسب، إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه، وهو وسط في قومه، وواسط" إلى أن قال: "وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضع هو الوسط بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين مثل وسط الدار، وأرى أن الله -تعالى ذكره- إنما وصفهم بأنهم وسطٌ لتوسطهم في الدين فلا هم أهل غلو فيه؛ غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقالوا في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها، وأما التأويل فإنه جاء بأن الوسط العدل -كما سبق-، وذلك معنى الخيار؛ لأن الخيار من الناس عدولهم".

وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: "الوسط هنا -أي في الآية- الخيار والأجود، كما يقال في قريش: أوسط العرب نسبًا ودارًا، أي: خيرها، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسطًا في قومه، أي: أشرفهم نسبًا، ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات، وهي العصر كما ثبت في الصحاح وغيرها وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-" ثم ساق الحديث الذي قد ذكرناه وأخرجه الإمام البخاري، وفيه تفسير النبي - صلى الله عليه وسلم- للوسط بالعدل.

وقال العلامة السعدي -رحمة الله عليه-: "﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ البقرة: ١٤٣ أي: عدلًا خيارًا، وما عدا الوسط فأطرافٌ داخلةٌ تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة وسطًا في كل أمور الدين؛ وسطًا في الأنبياء بين من غلا فيهم كالنصارى، وبين من جفاهم كاليهود، بأن آمنوا

بهم كل على الوجه اللائق بذلك، ووسطًا في الشريعة لا تشديدات اليهود و آثارهم، ولا تهاون النصارى، وفي باب الطهارة والمطاعم لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم، وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم طيبات عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئًا، ولا يحرمون شيئًا بل أباحوا ما دب ودرج، بل طهارتهم -أي هذه الأمة- أكمل طهارة وأتمها، وأباح لهم الطيبات من المطاعم، والمشارب، والملابس، والمناكح، وحرم عليهم الخبائث من ذلك".

قال -رحمه الله- ولازال الكلام له: "فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها، ووهبهم الله من العلم، والحلم، والعدل، والإحسان مالم يهبه لأمة سواهم فلذلك كانوا أمةً وسطًا كاملين معتدلين، ليكونوا شهداء على الناس بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط؛ يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم" انتهى كلامه -رحمه الله تبارك وتعالى-.

وبهذا يتضح لنا أن المراد بالوسط في قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي خيارًا عدولًا فأهل المنهج الحق من سار على النهج الذي سار عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- هم أهل توسط واعتدال، فلا غلو عندهم ولا جفاء، ولا إفراط عندهم ولا تفريط، إنما مشيٌ على سنن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أبواب الدين، وفي أبواب الدنيا، كما بين ووضح ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فإنه -عليه الصلاة والسلام- ما مات إلا وقد بين البيان العظيم، ووضح التوضيح الكبير -صلوات الله وسلامه عليه- ولهذا في حجة الوداع لما خطب في أصحابه تلكم الخطبة العظيمة جاء في آخرها أنه قال: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ

عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِأُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ . ثَلَاثَ مَرَّاتٍ».

ومما جاء عنه -عليه الصلاة والسلام- في هذا الأمر بخاصة قوله -عليه الصلاة والسلام- لما جاءوا أولئكم النفر الثلاثة إلى بعض أزواجه -عليه الصلاة والسلام- وأرادوا السؤال عن عبادته -صلى الله عليه وسلم-: «جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا -أي: استقلوا ذلك لأنفسهم من الفعل- فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» أخرجاه في الصحيحين.

تأملوا -رحمني الله وإياكم- في هذه القصة العظيمة التي تبين لنا منهج الوسطية والاعتدال الذي كان عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أولئك الصَّحب الكرام -رضوان الله عليهم- كانت نيَّتهم حسنة، ومقصدهم طيِّب، وأرادوا ما عند الله -جل وعلا-، ولهذا لمّا سألوا عن عبادة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأخبروا بها تقالّوها في أنفسهم؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد تقرر عندهم أنه غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر -صلوات الله وسلامه عليه-، أمّا هم الواحد منهم فلا يعرف ما يُختم له ولا يعرف حاله، ومصيره، ومآله، ولهذا هم

تقالّوها بالنسبة لأنفسهم، فصدر منهم ذلكم القول الذي سمعناه، فبلغ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال هذا الكلام العظيم الذي يُعدُّ نهجًا يُسلك، وطريقًا يُسار عليه، قال: «أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ» وجاءت رواية أخرى عند النسائي أن أحدهم قال: ولا آكل اللحم، قال: «وَآكُلُ اللَّحْمَ» ثم قال: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» أي خرج عن نهجه، وتنكّب عن صراطه، وحاد عن سبيله، ولا تسأل حين ذاك عن مآله، فإن النجاة إنما هي في الطريق الذي سار عليه النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وقد أشرت قبل قليل إلى حسن قصدهم، وصلاح نيَّتهم، لكن هل تكفي صلاح النية فقط؟ هل يُسوِّغ العمل؟

المتقرر في الشرع أنه لابد من أمرين اثنين في أي عبادةٍ حتى تقبل، فلابد من الإخلاص لرب العزة والجلال، والمتابعة للنبي -صلى الله عليه وسلم-، ولهذا هم في هذا المقام ما وافقوا النبي -عليه الصلاة والسلام-، فبيَّن لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- طريق النجاة، وطريق السعادة، وذلك بأن يلزموا سنته؛ لأن من يرغب عن سنته ليس منه -عليه الصلاة والسلام-، ونأخذ من هذا أن حسن النية والقصد لا يكفي في صحة العمل وقبوله، بل لابد من لزوم هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- في العمل.

ولهذا نظائر، من ذلك ما جاء في حديث النعمان المخرج في الصحيح في حديث السفينة الذين كانوا في الأسفل ما أرادوا أن يصعدوا إلى الأعلى حتى يأخذوا الماء بسبب ماذا؟ «فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا

خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا فَاسْتَقَيْنَا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا» النية طيبة لكنها لا تصحح العمل، ولهذا ابن مسعود -رضي الله عنه- لمّا وقف على أصحاب الحِلق وأنكر عليهم وأغلظ، ماذا قالوا له؟ يا أبا عبدالرحمن ما أردنا إلا الخير، فقال لهم تلكم المقولة العظيمة التي أصبحت قاعدة عند أهل السنة في باب المحدثات والبدع: "وكم من مريدٍ للخير لم يدركه!" لمَ؟ لأن الخير إنما يُدرك بالإخلاص لله -جل وعلا- وبالمتابعة للنبي -صلى الله عليه وسلم- وهذا هو أصل الدين وأساسه؛ ألّا يُعبد إلا الله، وألّا يُعبد إلا بما شرعه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولهذا التوسط والاعتدال إنما يكون على هدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

كذلك مما جاء في سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الباب ما أخرجه البخاري والدارمي من حديث عبد الله بن عباس -رضي الله عنه، وعن أبيه، وعن الصحابة أجمعين- قال: سمعت عمر -رضي الله عنه- يقول على المنبر: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ» يحرص النبي -عليه الصلاة والسلام- على ترسيخ هذا النهج في قلوب أصحابه حتى يكونوا أهل توسطٍ واعتدال، فلا يكون عند الواحد منهم غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط، فهو الناصح البر الرحيم لأمته -صلوات الله وسلامه عليه-، وهذا توجيهٌ للأمة كلها منه -عليه الصلاة والسلام-.

تأملوا في هذا الحديث، يقول -عليه الصلاة والسلام-: «لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ» يريد أن يرسِّخ هذا المنهج؛ التوسط والاعتدال حتى مع مقام النبوة، وأن يُحذِّر مما كان

عليه اليهود والنصارى، فإنهم أهل غلوٍّ وجفاء، وأهل إفراطٍ وتفريط، وقد مضى معنا قبل قليل كلام العلامة السعدي -رحمة الله عليه- وأشار إلى هذا، وسوف يأتي معنا مزيد بيان بشيءٍ من التفصيل والإيضاح في كلام أبي العباس شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- والعلامة السعدي كأنه اختصر كلام أبي العباس -رحمة الله عليه-، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لا تُطْرُونِي» الإطراء: مجاوزة الحد في المدح «كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ» كأنَّ سائلًا يسأل: ما هو المنهج الحق مع مقام النبوة؟ كيف يسلكون طريق التوسط والاعتدال مع مقام النبوة؟

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ» كلمتان تجمع المنهج الحق والاعتقاد الحق في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عبدٌ لا يُعبد، ردٌّ على من غلا في مقام النبوة، وصرف له ما لا يجوز صرفه إلا لله -سبحانه وتعالى- عبدٌ لا يُعبد، ورسولٌ لا يُكذَّب بل يُطاع ويُتَّبع، ردٌّ على الجفاة الذين تنقَّصوا هذا المقام الشريف، هذا المقام العظيم، مقام النبوة، أولئكم الذين اصطفاهم رب العزة والجلال من سائر الخلق من بني آدم حتى يحملوا رسالته، ويقوموا بواجب البلاغ والبيان عن رب العزة والجلال، فهم الواسطة في تبليغ شرع الله -سبحانه وتعالى- لا يُعرف الشرع إلّا مِن طريقهم، ولهذا من تنكَّب عن طريقهم، وحاد عن سبيلهم لم يحصِّل تلكم الخيرات، ولم ينل وعد رب العزة والجلال بعباده الصالحين، فهذا هو التوسط والاعتدال يُعلِّمه النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه الكرام -رضوان الله عليهم-.

كذلك مما جاء في هديه -صلوات الله وسلامه عليه- في تقرير هذا النهج العظيم؛ أعني التوسط والاعتدال، ما جاء عند النسائي في سننه من حديث عبدالله بن عباس -رضي الله عنه

وعن أبيه وعن الصحابة أجمعين-:«قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ – في حجة الوداع- وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ هَاتِ الْقُطْ لِي؟ فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ، هِيَ حَصَى الْخَذْفِ ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ: بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ-رفعها لأصحابه الكرام حتى ينظروا فيها- وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ» كما قد مضى معنا بيانه وتقريره نجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يحرص على أن يوضّح هذ النهج العظيم؛ نهج التوسط والاعتدال، وكما قد أشرنا فيما مضى أن هذا النهج لا يؤخذ من زبالات الأفكار، ولا من تخليطات العقول والأذهان، إنما يؤخذ من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولهذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يبيّن لأصحابه ويوضّح لهم ابتداءً، وإذا وُجِدَ ثَمَّة تجاوز، أو حدوث مخالفة سرعان ما ينصح، ويوجه، ويبين، وينصح، ويحذر كما جاء معنا في قصة أولئك النفر الثلاثة الذين سألوا عن عبادة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلما سمعوا بها تقالّوها، كذلك هذا النهج العظيم تلقاه أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- عنه، وبلّغوه، وهكذا في سلسلة متصلة يأخذ المتأخر عن المتقدم إلى يومنا هذا، يبينون هذا النهج العظيم؛ أعني التوسط والاعتدال في أبواب العلم والعمل، وفي أبواب الدين والدنيا، ولهذا أُثر ونُقل عن سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم- في هذا الباب الشيء الكثير، من ذلك ما جاء عن علي -رضي الله عنه- فيما خَرَّجه ابن أبي شيبة في مصنَّفه أنه قال: **"خير الناس هذا النمط الأوسط، يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي"** وهذا هو حقيقة دين الله -جل وعلا- كما قد مضى معنا، دينٌ وسطٌ بين الغالي فيه والجافي عنه، ويقول إمام أهل الشام الأوزاعي -رحمه الله تبارك

وتعالى-: "ما من أمْرٍ أَمَرَ الله به إلّا عارض الشيطان فيه بخصلتين ولا يبالي أيهما أصاب؛ الغلو أو التقصير" والوسط والاعتدال بين هذا وبين ذاك، ويقول أبو جعفر الطحاوي -رحمه الله تبارك وتعالى- صاحب العقيدة الطحاوية المشهورة، يقول -رحمه الله- في عقيدته: "دين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام، وهو بين الغلو والتقصير".

إذًا الوسطية والاعتدال هو نهج رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهو الطريق الذي سار عليه النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولهذا كان هذا الأمر ميزة أهل السنة بل هي خصيصة لأهل الإسلام، التوسط والاعتدال من خصائص هذا الدين الذي بعث به النبي -صلى الله عليه وسلم-، وتأملوا -رحمني الله وإياكم- فيما سأقرأه من كلام شيخ الإسلام أبي العباس بن تيمية -رحمه الله- وله كلامٌ كثيرٌ في هذا الباب في مواطن متفرقة فيما كتبه وسطره -رحمه الله تبارك وتعالى-، قال -رحمه الله-: "أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية وسط في النِّحَل كما أن ملة الإسلام وسط في الملل، فالمسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين" هذه خطوط عريضة والأمثلة عليها كثيرة جدًا لا تُحصى، إذا جئت في باب الأنبياء، إذا جئت في باب الصالحين، الأمثلة والشواهد على هذا الكلام لا يكاد يُحصر؛ لأن الشيطان قد أخذ العهد، وأقسم بعزة الله على أن يقوم بالغواية، وقد مضى معنا قبل قليل كلام من؟ أبي عمرو الأوزاعي لما قال: "ما من أَمرٍ أَمَرَ الله به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين ولا يبالي أيهما أصاب" أهم ما عنده أن يخرجك عن الوسطية والاعتدال، أن يخرجك عن طريق الأنبياء والمرسلين، طريق السلف الصالحين، يقول هنا شيخ الإسلام: "فالمسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين، لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى، ولم يجفوا عنهم كما جفت اليهود" الآن هذا

باب "وهم وسط في شرائع دين الله، فلم يحرموا على الله أن ينسخ ما شاء، ويمحو ما شاء، ويثبت ما شاء كما قالته اليهود، ولا جوزوا لأكابر علمائهم وعبادهم أن يغيروا دين الله فيأمروا بما شاءوا وينهوا عما شاءوا كما يفعله النصارى" وهذا باب الأنبياء والصالحين، باب الشريعة؛ شريعة رب العالمين، قال: "وهم كذلك وسط في باب صفات الله فإن اليهود وصفوا الله -تعالى- بصفات المخلوق الناقصة، والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به"، ثم قال: "هذا في باب يطول حصره"، ثم انتقل إلى من؟

الآن المقارنة كانت بين الإسلام، ومع اليهود والنصارى، وغيره من الملل، الآن انتقل إلى السنة مع الفرق، قال: "وأما أهل السنة والجماعة في الفرق فهم وسط كذلك فهم في باب أسماء الله وصفاته وسط بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ويعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه حتى يشبهوه بالعدم والمواد، وبين أهل التمثيل والتشبيه الذين يضربون له الأمثال، ويشبهونه بالمخلوقات، وأما هم- أي: أهل السنة -فيؤمنون بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله -صلى الله عليه وسلم- من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل-هذا باب-، وأما في باب الخلق والأمر فهم وسط بين المكذبين بقدرة الله الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة، ومشيئته الشاملة، وخلقه لكل شيء، وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة، ولا قدرة، ولا عمل فيعطلون الأمر، والنهي، والثواب، والعقاب، فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ م: ٨٤١، وأما أهل السنة فوسطيتهم في إيمانهم بأن الله على كل شيء قدير، فيقدر أن يهدي العباد، ويقلب قلوبهم، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في ملكه ما لا يريد، ولا يعجز عن إنفاذ أمره، وأنه خالق كل شيء من الأعيان، والصفات، والحركات، كما يؤمنون في الوقت نفسه أن العبد له قدرة، ومشيئة، وعمل، وأنه مختار، ولا يسمونه مجبورًا، إذ إن

المجبور من أكره على خلاف اختياره، والله -سبحانه وتعالى- جعل العبد مختارًا لما يفعله، فهو مختارٌ مريد، والله خالقه، وخالق اختياره".

وهذا باب، ولعلكم الآن تستحضرون كلامه -رحمه الله- في "الواسطية" الذي هنا يشرح كلامه فيما سطَّره في عقيدته "الواسطية"، قال-رحمه الله-: "وهم في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد وسطٌ بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية، ويكذبون بشفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- وبين المرجئة الذين يقولون إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء، والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان، ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية، فيؤمن أهل السنة بأن فساق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله، وليس معهم جميع الإيمان الواجب، الذي يستوجبون به الجنة" كما قال -رحمه الله- في الواسطية: "إنهم مؤمنون بإيمانهم فاسقون بمعصيتهم".

قال -رحمه الله-: "وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة، وأنهم لا يخلدون في النار، بل يخرج منها من كان في قلبه مثال حبة من إيمان، أو مثقال خردلة من إيمان" وهذا باب، الآن هذا الباب الثالث، قال: "وهم في أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسطٌ بين الغالية الذين يغالون في علي -رضي الله عنه- وأهل البيت فيفضلون عليًا على أبي بكر وعمر، ويعتقدون أنه الإمام المعصوم دونهما، وأن الصحابة ظلموا، وفسقوا، وكفروا الأمة بعدهم كذلك، وربما جعلوه نبيًّا وإلهًا، وبين الجافية الذين يعتقدون كفره، وكفر عثمان، ويستحلون دماءهما، ودماء من تولاهما، ويستحبون سب علي، وعثمان، ونحوهما، ويقدحون في خلافة علي -رضي الله عنه- وإمامته".

ثم قال -رحمه الله- في نهاية هذا الكلام العظيم: "ووسطيتهم في سائر أبواب السنة راجع لتمسكهم بكتاب الله، وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان".

وليس هذا فقط في هذا الباب، بل وسطية أهل السنة، وسطية أهل الحق في جميع أبواب الدين، بل حتى في أمور الدنيا إنما حازوا فيها المقام العظيم، ونالوا المرتبة الكبيرة، وكانوا هم أهل الحق؛ لأنهم لزموا ما كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الكرام، وهذا هو منهجهم إلى يومنا هذا، ومما يلحق بهذا مما حصل فى هذه العصور المتأخرة على جهة الظهور والبروز، وإن كان هذا موجودًا من قبل الموقف من أهل البدع والضلال، فنجد أُناسًا يريدون أن يلغوا عقيدة الولاء والبراء مع أهل البدع والضلال، ولا يلتفتوا إلى تلكم الانحرافات وتلكم الضلالات التى عندهم بحجة توحيد الصف، لأن فى زعمهم فى مواجهة العدو من الكفار، وما علم أولئك أن توحيد الصف لا يكون إلا بعد أن تتوحد الكلمة، ويتوحد الاعتقاد فإن الله - جل وعلا- أمرنا بأخذ العدة ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠]، قال أهل العلم: **"أول ما يدخل فى القوة؛ قوة الاعتقاد والتوحيد"**، ولهذا النبي -صلى الله عليه وسلم- حرص على هذا الأمر غاية الحرص، ولكم أن تتأملوا فى موقفه -عليه الصلاة والسلام- فى يوم حنين لما قال ذاك: اجعَل لنا ذاتَ أنواطٍ كما لَهم ذاتُ أنواطٍ، تأمل فى هذا القول، وانظر فيما صدر من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وما حصل منه -عليه الصلاة والسلام- يتضح لنا جليًّا المنهج الحق، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- أوقف الجيش بكامله، وأوقف المسيرة بتمامها، لمَ؟

لأن هذا الانحراف إن بقي فإنه سيقود إلى التفرق، وإلى الاختلاف، ولهذا حرص على توحيد الكلمة بالتوحيد قبل توحيد الصف، فأوقف الجيش بتمامه فقال -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-: «اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ

ءَالِهَةٗ﴾ [الأعراف: ١٣٨] ولهذا أولئك الذين يرون السكوت عن أهل البدع، والغض عنهم هؤلاء فى طرف، وفي الطرف المقابل الذين غلوا، وعاملوا أهل البدع كأنهم يعاملون أهل الكفر، وكأن البدعة صارت فى مقام الكفر فصاروا لا يترحمون على جميع أهل البدع، ويجعلون هذا شعارًا، ووصل الحال ببعضهم إلى تكفيرهم بغير مصوغٍ شرعي، وهم المشهورون فى هذه الأعصار والأزمان بالحدادية، فأهل السنة وسط بين الغالي فيه والجافي عنه فى جميع أبواب الدين حتى مع أهل البدع والضلال، فإن البدع ليست على مرتبة واحدة، منها ما هو المكفر، ويخرج صاحبها بها من دائرة الإسلام، ومنها ما هو دون ذلك، نعم تكون مفسقة، ويقام تجاهه بالواجب الشرعي بالبيان والرد على حسب المقام، وما يقتضيه الحال، ويسلك معه ما سلكه أئمة الإسلام، لكن أن يحصل التجاوز فيكفر بغير مكفر إلى غيرذلك من الضلالات التى عندهم فإن هذا من الغلو الذي ينافي التوسط والاعتدال الذي عليه أهل السنة -رحمهم الله تبارك وتعالى-.

كيف يتحقق التوسط والاعتدال؟ كيف يسعى الواحد منا فى تحقيق الوسطية والاعتدال؟ مضى معنا تقرير هذا النهج العظيم، وهذا الأصل الكبير، وأنه من خصائص هذة الأمة، وأنه ميزةٌ لأهل السنة، كيف يحقق الواحد منا هذا المنهج؟

يحققه بالاستقامة على دين الله -جل وعلا-، ولا تكون الاستقامة إلا بلزوم الصراط المستقيم، والمنهج القويم، والسير على سنن رسول رب العالمين نبينا محمد -عليه الصلاة والسلام-.

أشار الحافظ ابن رجب -رحمه الله- في كتابه النافع العظيم: "جامع العلوم والحكم" إلى مفهوم الاستقامة، قال -رحمه الله-: **"سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك"**، ثم ذكر كلامًا إلى أن قال: **"أصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد"**.

وقد فسرأبو بكر -رضي الله عنه- الاستقامة في قوله- تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ فصلت:٣٠، قال: **"بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره، فمتى استقام القلب على معرفة الله، وعلى خشيته، وإجلاله، ومهابته، و محبته، وإرادته، ورجائه، ودعائه، والتوكل عليه، والإعراض عما سواه؛ استقامت الجوارح كلها على طاعته، فإن القلب هو ملك الأعضاء، وهي جنوده، فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه، وأعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح اللسان فإنه ترجمان القرآن والمعبر عنه"** انتهى كلامه -رحمه الله-.

ولهذا جاء في الحديث؛ حديث سفيان الثقفي -رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين- أن رجلًا سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: « قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ » ماذا قال؟ «قَالَ: قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ».

هذا هو منهج التوسط والاعتدال: أن نؤمن بالله، ونستقيم على شرع الله، ولا نأخذ ذات اليمين وذات الشمال، ندع بنيات الطريق، ونسير في الطريق القويم، والصراط المستقيم الذي ندعو ربنا -جل وعلا- في كل يوم وليلة أن يهدينا إياه، في صلاة الفرض سبع عشرة مرة، ندعو الرب -سبحانه وتعالى- أن يهدينا هذا الصراط المستقيم الذي إن سلكه المرء فإنه يكون في نهج التوسط والاعتدال ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ

وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ الفاتحة: ٦-٧ غير صراط المغضوب عليهم، وغير صراط الضالين، المغضوب عليهم جاء في الحديث الصحيح أنهم اليهود، والضالون جاء في الحديث الصحيح أنهم النصارى، فدين الله -جل وعلا- وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، ويتحقق بلزوم الصراط المستقيم، قال ربنا -سبحانه وتعالى- آمرًا نبيه -صلى الله عليه وسلم- قال: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ﴾ هود: ٢١١

قال العلامة السعدي -رحمه الله-: "ثم لما أخبر بعدم استقامتهم -أي المنتسبين لموسى -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- في الآيات التي قبلها، قال: "ثم لما أخبر بعدم استقامتهم التي أوجبت اختلافهم وافتراقهم أمر نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- ومن معه من المؤمنين أن يستقيموا كما أمروا، فيسلكوا ما شرعه الله من الشرائع ويعتقدوا ما أخبر الله به من العقائد الصحيحة، ولا يزيغوا عن ذلك يمنة ولا يسرة، ويداوموا على ذلك ولا يطغوا بأن يتجاوزوا ما حده الله لهم من الاستقامة".

قال حذيفة -رضي الله عنه- كما في البخاري: «يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ! اِسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا » استقيموا، سيروا على نهج الوسطية والاعتدال ولا تأخذوا ذات اليمين وذات الشمال «اِسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا » ولهذا جزاء هذا النهج العظيم، ولزوم طريق الوسطية والاعتدال، لزوم طريق الاستقامة، والسير على الصراط المستقيم، أخبرنا عنه ربنا في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ فصلت: ٣٠.

انظر إلى كرامة الله -جل وعلا- لأهل هذا النهج العظيم! لأهل هذا الصراط المستقيم؛ أهل الوسطية والاعتدال حقًا وصدقًا، لا كذبًا وزورًا!

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾ فصلت: ٣٠. انظر إلى كرامة الله -جل وعلا- لهم ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢ ﴾ فصلت: ٣٠-٣٢، وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣ ﴾ ف: ٣١

فحريٌّ بنا أن نسلك هذا الطريق، وأن نسير على هذا النهج، وأن نبتعد عن بنيات الطريق، وأن نلزم ما كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصاحبه الكرام -رضوان الله عليهم-.

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللهِ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وشماله،ثم قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثم تلى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ م: ٣٥١» أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه وقواه العلامة الألباني -رحمه الله تبارك وتعالى-.

قال أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: **"دين الله وسط بين الغالي فيه، والجافي عنه، والله -تعالى- ما أمر عباده بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالي بأيهما ظفر، إما إفراط فيه، وإما تفريط فيه، وإذا كان الإسلام الذي هو دين الله لا يقبل من أحد سواه قد اعترض الشيطان كثيرًا ممن ينتسب إليه حتى أخرجه عن كثير من شرائعه، بل أخرج طوائف من أعبد هذه الأمة وأورعها عنه، حتى مرقوا منه كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة"** وأمر

النبي -صلى الله عليه وسلم- بقتال المارقين منه، فثبت عنه في الصحاح، وغيرها من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وأبي سعيد الخدري، وسهل بن حنيف، وأبي ذر الغفاري، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وابن مسعود -رضي الله عنهم جميعًا- وغير هؤلاء؛ أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر الخوارج فقال: «تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ ، وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ». «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، «لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ قَتَلْتُهُمْ قَتْلَ عَادٍ» . وفي رواية: «شرُّ قَتلى قُتِلوا تحتَ أَديمِ السَّماءِ، وخيرُ قَتيلٍ مَن قتلوا» وفي رواية: «لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَهُمْ مَا لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ لَنَكَلُوا عَنْ الْعَمَلِ».

انظر إلى أولئك الخوارج، وما كانوا عليه من العبادة التي أخبرنا عنها الصادق المصدوق -صلوات الله وسلامه عليه- بل إن الواحد من الصحابة -رضي الله عنهم- إذا ما نظر إلى أولئك في عبادتهم وطاعتهم يحقر ما يقوم به، ومع هذا انظر إلى مصيرهم، وإلى مآلهم، وهذا يبين لنا أهمية الوسطية والاعتدال، فإن دين الله الوسط بين الغالي فيه والجافي عنه.

قال ابن القيم: **"وما أَمَرَ الله بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزغتان، إمّا إلى تفريطٍ وإضاعة، وإمّا إلى إفراط وغلوّ، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيّعٌ له فالغالي فيه مضيّعٌ له، هذا بتقصيره عن الحدّ، وهذا بتجاوزه الحدّ، وقد نهى الله عن الغلو بقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾** المائدة: ٧٧.

وقال -رحمه الله- في موطن آخر وبه نختم هذا اللقاء: **"إن الصراط المستقيم الذي وصانا الله به وباتباعه هو الصراط الذي كان عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه وهو قصد السبيل، وما خرج عنه فهو من السبل الجائرة، والجائر عنه إما مفرطٌ ظالم، أو مجتهدٌ متأول، أو مقلدٌ لأحدهما جاهل، وكل ذلك قد نهى الله عنه، فلم يبق إلا الاقتصاد والاعتصام بالسنة، وعليهما مدار الدين".**

هذا هو طريق الوسطية والاعتدال أن نلزم ما كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الكرام -رضوان الله عليهم-، وهذا يستدعي منا بذل المزيد من الجهد في طلب العلم الشرعي؛ في طلب علم الكتاب والسنة، في طلب الوحي المنزل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأن نحرص على أن نعمل بهذا العلم؛ لأن بالعلم والعمل به يكمل المرء نفسه، ويعرف حين ذاك الصراط المستقيم والمنهج القويم.

أسأل ربي بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا جميعًا من أهل الصراط المستقيم، من أهل الوسطية والاعتدال التي كان عليها النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الكرام، وأن يجنبنا طريق أهل البدع الضلال، طريق الذين غلوا فيه، أو جفوا عنه، إن ربي سميع الدعاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وجزاكم الله خيرًا ومعذرة على الإطالة.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net

--

وجزاكم الله خيرا.